شخصية المثقف الماركسي في الرواية العراقية

الباحثة. صبا علي كريم المعموري

The Marxist Cultivated Person in the Iraqi Novel

Researcher. Saba Ali Kareem Al-Mamoori

Abstract

The research deals with the development of the Marxist cultivated person in the Iraqi novel and his role in guiding the novel's protagonist towards the insurgence against the oppressive social and political systems. The narrator focuses on the intellectual features of this character and its role in waking the society from its lethargy.

Key words: cultivated, Marxism, the narrator.

الخلاصة:

يرصد البحث تطور شخصية المثقف الماركسي في الراوية العراقية ودور هذه الشخصية في توجيه بطل الرواية نحو التمرد على أنظمة القهر الاجتماعي والسياسي. وتركز الراوية على الملامح الفكرية لهذه الشخصية وأثرها في توعية المجتمع وانتشاله من سباته الفكري.

الكلمات المفتاحية: المثقف، الماركسية، الراوية

عتبة

لقد كان لإيمان الكتاب الماركسيين بضرورة الإصلاح الاجتماعي وتوعية الطبقات الكادحة لتقوم بمهمة الإصلاح السياسي وتحقيق العدالة والمساواة بين طبقات المجتمع، دوره في تقديم شخصية المثقف الماركسي في الرواية التي تمثل رؤية الكاتب الآيديولوجية وتشير إلى توجهه الفكري.لقد عني المنجز الروائي الماركسي بتقديم الشخصية التي تمتلك الثقافة السياسية والفكرية التي تمكنها من أداء دور الموجه الفكري للبطل بوصفه ممثلاً للطبقة الشعبية الكادحة التي يستند إليها الفكر الماركسي لإحداث التغيير الاجتماعي المطلوب.

وقد برزت هذه الشخصية في الرواية الستينية بعد أن اتخذ الصراع على السلطة طابعاً فكرياً تميز بتعدد التيارات الآيديولوجية وتنافسها لفرض رؤيتها الفكرية في المجتمع، لتقوم هذه الشخصية بتوعية الشعب سياسياً وفكرياً لمواجهة السلطة المستبدة وامتلاك رؤية ناضجة لما يدور في المجتمع من صراعات.

وتعنى الرواية بتقديم الجانب الفكري للشخصية بوصفه البنية الأكثر بروزاً بين مكونات الشخصية.

شخصية المثقف الماركسي

تقدم رواية (الأيام المضيئة) [1]، شخصيتي (زكي) و(وهاب)، بوصفهما رمزين للمثقف الماركسي المنتمي للطبقات الشعبية في المجتمع، التي تعاني القهر والاضطهاد إضافة إلى الفقر الذي ينخر جسدها ويشل إرادتها ويحول دون تحقيقها لطموحاتها، ورغم عدم قدرة (زكي) و(وهاب) على إتمام دراستهما الجامعية –بسبب تدني وضعهما المادي– واكتفائهما بوظيفة حكومية بسيطة، إلا إنهما كان يساهمان في توعية المجتمع فكرياً من خلال ما كان يكتب زكي في الصحف من مقالات سياسية أو قصائد ينشرها (وهاب) في جريدة الأهالي –المعروفة بميولها الماركسية–.

وتسهم الشخصيتان في توجيه البطل (محمود) إلى ضرورة أن يكون له هدف في الحياة يسعى إلى تحقيقه ليكون له دور واضح في بناء مجتمعه البناء الصحيح، وتأخذ كلمات (زكي) صداها في نفس (محمود) الذي يرمز لجيل الشباب الصاعد، فيتذكر تلك الكلمات وهو على أبواب حياة جديدة، يبدأ فيها وعيه الفكري والسياسي بالتفتح ليردد مع نفسه ما قاله صديقه (زكي): "إنسان بلا هدف معناه كائن حي فقط يعيش كما يعيش الفأر أو الفيل... الغاية... الهدف... الغاية والهدف... من لا يستعمل عقله يعيش ولكن كالفأر ضعفاً أو كالفيل قوة، ولكن لم يقل أحد أن الفيل أو الفأر يصنع

(1) الأيام المضيئة، شاكر جابر، مطبعة الجمهورية، بغداد، د.ت.

الحضارة الذي يقال هو أن أولئك الذين عاشوا لغاية سامية وهدف نبيل هم بناة الحضارة أولئك العمال الذين هندسوا بعقولهم وعملوا بكل قواهم لنقل قيمة الإنسان من الوحل إلى أعلى فأعلى".[1]

ويبدو توجه الكاتب الماركسي واضحاً في هذا الخطاب، من خلال إشارته إلى دور الطبقة العاملة في النهوض بواقع المجتمع.

ولا يختلف (وهاب) عن (زكي) في المساهمة في انتشال المجتمع من سباته الفكري وتوعيته بحقوقه المسلوبة، فقد كان (وهاب): "يشتري الكتب رغم فداحة أثمانها ويعيرها لهذا أو ذاك لكل من يرغب".[2]

ورغم أن (زكي) بقي مطارداً من قبل الشرطة، وانتهى مصير (وهاب) إلى السجن إلا أن ذلك لا يعني انقطاع تأثيرهما في المجتمع، لأنهما غرسا روح التمرد والثورة في شخصية البطل (محمود) الذي بدأ يدرك قيمة أن يكون للإنسان هدف يسعى إلى تحقيقه وهو ما حمله على مشاركة زملائه من الطلبة التقدميين في المظاهرات والاحتجاجات ضد استبداد السلطة وتعسفها، وتقبله نبأ فصله من الكلية بكل شجاعة، ليكمل ما بدأه زميلاه (زكي) و(وهاب) من نضال.

وتقدم رواية (النخلة والجيران)[3] شخصية (صاحب أبو البايسكلات) مثالاً للمثقف الماركسي، ورمزاً للطبقة الواعية، التي تحارب الجهل في المجتمع وتحاول إنقاذه من سباته الفكري.

وتظهر شخصية (صاحب) في الرواية من خلال مواقفها الفكرية الواعية، فيكون ظهورها في الأحداث مرتبطاً بالتوجيه الفكري لأبناء المحلة، أو لمواجهة وتحدي الشخصيات المستِغلة والانتهازية في المجتمع.

ويعد ظهور الشخصية بشكل محدود في الرواية، واقتصار هذا الظهور على ما يمكن أن تقدمه من رؤية إصلاحية للوضع الاجتماعي وتصحيح للمفاهيم الخاطئة مؤشراً على بداية تأثير الفكر الماركسي في المجتمع ليأخذ دوره في تغيير المفاهيم الاجتماعية والفكرية السائدة.

لقد قدمت الرواية صورة عن المجتمع العراقي أبان الحرب العالمية الثانية، وما تركته هذه الحرب من آثار اقتصادية وسياسية فاقمت من معاناة الطبقات الفقيرة وزادت من انسحاقها وبؤسها في ظل فوضى سياسية هيأت لظهور فئات انتهازية استغلت هذه الفوضى لتحقيق طموحاتها غير المشروعة مستغلة حالة الجهل والسذاجة التي تسيطر على طبقة واسعة من المجتمع، كما أن هذه الفوضى مكنت فئات أخرى من استغلال غياب القانون أو ضعفه لتقوم بابتزاز الطبقات الضعيفة وإخضاعها لسلطتها. ومقابل هذه الصورة القاتمة للمشهد الاجتماعي والسياسي، تقدم الرواية الشخصية الشعبية الواعية التي تحمل فكراً تقدمياً يسعى لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية عبر التوعية الفكرية.

وتتمثل هذه التوعية في محاولات (صاحب) المتكررة لحمل (حسين) الذي يمثل جيل الشباب المتمرد على مواصلة دراسته التي تركها بعد وفاة أبيه:

- أبو مهدي يا مستقبل؟ ... المستقبل راح من مات أبويه.
- لا، إذا دخلت المدرسة ما يروح.
- وإذا نسيت القراية والكتابة؟ ... ست سنين مو قليلة.
- تذكر بالعجل.
- واش تريدني اطلع؟ محامي لو دختور؟

على الأقل تدخل مدرسة الصنايع بعد ما تخلص سادس".[4]

(1) م.ن: 89.
(2) م.ن: 52.
(3) النخلة والجيران، غائب طعمة فرمان، دار المدى للثقافة والنشر، ط2، 2009.
(4) النخلة والجيران: 62.

ويشير الحوار السابق إلى إيمان (صاحب) بضرورة امتلاك جيل الشباب لسلاح العلم الذي يمكنه من مواجهة كل أسباب الجهل والتخلف التي يعاني منها المجتمع، وإمكانية تجاوزها ليكون لجيل المستقبل – الذي يمثله (حسين)– شخصيته المستقلة الواثقة من قدرتها على التغيير والنهوض.

ولا يقتصر دور (صاحب) بوصفه رمزاً فكرياً، على التثقيف والإصلاح، بل يمتد ليشمل تغيير المفاهيم الاجتماعية المتخلفة التي تمنع المجتمع من النهوض والتقدم، كاقتراحه بناء مدرسة للبنات، محل طولة الحاج (أحمد آغا):

"– اسكتوا عيني.. خل نشوف أش راح يبنون بمكانها!

قال صاحب:

– مدرسة بنات

أهت رديفة وقالت:

– الدورة راح يخششون برأس البنات جني (ربما كانت تشير إلى أسطورة قديمة هي أن الطولة مسكونة بالأرواح).

هز صاحب ذراعه:

– الجني برأس الجاهل مثلج.. أنتِ عمرج شفتي جني؟".[1]

ويقف (صاحب) بما يحمله من فكر تقدمي وطني في مواجهة الفئات الانتهازية المهادنة للحكم المستبد ومن خلفه الاستعمار البريطاني، لأن وجود هذه الفئات وديمومتها رهين ببقاء تلك السلطة العميلة والاستعمار الذي يدعمها، وتضع الرواية الفئتين الاجتماعيتين (صاحب) – الرمز التقدمي – و(مصطفى الدلال) –الرمز الانتهازي– وجهاً لوجه لبيان التوجه الفكري لكل فئة، إذ يقول مصطفى في محاورة مع صاحب حول بقاء الانكليز:

"– يا حرب راح تخلص.

– ربنا يخلصها، ويطلعون الكَركة والسيخ والانكليز...

مص مصطفى نفساً عميقاً وقال:

– ياريت يطلعون بس شيطلعهم.

– يعني شنو يعمرون؟

– ليش العثمانيين مبقوا اربعميت سنة؟

– وبعدين طلعوا.

قال مصطفى بوقاحة:

– من طلعهم؟ ... احنه...؟ ذاك مود شاهد.

– بس هالمرة راح نطلعهم بيدينه... يرادلها رميثة.

قال مصطفى:

– معلوم إذا ردنا نطلعهم.

فخرزه صاحب بنظرة حادة تراجع بعدها مصطفى:

– اقصد... بعدنا منعرف اشلون نطلعهم".[2]

ولا يكتفي (صاحب) بوصفه رمزاً فكرياً، بمواجهة التفسخ الاجتماعي، بل ينهض –بما يحمله من جرأة وتمرد– في مواجهة السلطة المستبدة التي تستغل ضعف الشعب واستكانته، لتمارس عليه ابتزازها واستغلالها، فيتصدى لتمادي (محمود ابن الحولة) –الذي يرمز للسلطة المتحللة– بعد أن عجز الجميع عن مواجهته وتحديه، ورغم شجاعة (صاحب) وتحديه

(1) م.ن: 107-108.
(2) النخلة والجيران: 180-181.

لـ(محمود أبن الحولة)، إلا أن غدر الأخير وتجرده عن القيم الإنسانية النبيلة من جهة، وضعف المجتمع أمام استبداد السلطة التي يمثلها (ابن الحولة)، مكنته من الانقضاض على (صاحب) وقتله، ليكون هذا الحدث محفزاً للبطل (حسين) للوقوف بوجه (ابن الحولة) الذي كان مصدر رعب لـ(حسين) فيما مضى، وليوقظ مقتل (صاحب) روح التمرد والرفض داخل (حسين) ليتخذ قراره بقتل (ابن الحولة)، في مؤشر على إمكانية جيل الشباب من مواجهة الأنظمة الفاسدة وإنهاء سيطرتها، ليكون مقتل (صاحب) مؤشراً على "انتصار قوى الخير على قوى الشر، والخلود المعنوي والأخلاقي والروحي على الموت الجسدي".[1]

وتظهر شخصية المثقف الماركسي، بصفة المناضل السياسي المطارد، من خلال شخصية (حميد حيوزاوي) في رواية (شقة في شارع أبي النواس) [2]، ليكون رمزاً لنضال الشيوعيين ضد الحكم الملكي، واحتضانهم لثورة تموز 1958 ودفاعهم عن وجودها ومبادئها. ويقدم الكاتب بطله رمزاً لنضال الحزب الشيوعي وتضحياته التي قدمها في ثورة تموز 1958، لتخليص الشعب من جور السلطة الملكية. وتشير الرواية إلى مرحلة من أحلك مراحل العراق السياسية، وهي تسلم القوميين للحكم في عام 1963 وما رافق ذلك من صراعات دموية على السلطة، دفعتهم لاستعمال العنف والإرهاب في تصفية الخصوم السياسيين بهدف إقصائهم عن المشاركة في إدارة الحكم في البلاد.

فـ(حميد) الرمز الماركسي، ينقذ (نعيمة) رمز ثورة تموز، التي كانت وحيدة في الشارع من ضياعها وخوفها، ويجلبها معه إلى الشقة (رمز العراق)، التي يسكن فيها مع (عداي) الرمز القومي، و(سامي) الرمز البعثي. ويرمز الثلاثة لأبرز الاتجاهات الفكرية والسياسية في عراق الستينيات.

لكن غياب (حميد) القسري عن الشقة، بسبب وشاية (عداي) لأجهزة الأمن عن مكان اختبائه، عرض (نعيمة) لوحشية (عداي) وتجرده عن المبادئ والقيم الإنسانية، ليقوم بالاعتداء عليها واغتصابها، وتركها فريسة للانكسار النفسي الذي ولده هذا التصرف الهمجي.

ويشير الكاتب إلى فظاعة التعذيب الذي تعرض له الشيوعيون في الستينيات على أيدي أجهزة القمع القومية، والتي حملت (حميد) على الاعتراف بانتمائه إلى الحزب الشيوعي والانكسار النفسي الذي رافق ذلك الاعتراف: "ولكنه مشوه الآن... مفصول... منهزم ويده اليمنى مشلولة"[3]. في دلالة على انكسار الشيوعيين في الستينيات بعد حملات المطاردة والاعتقال التي تعرضوا لها على أيدي القوميين، لشل قدرتهم على العمل السياسي وإبعادهم عن الحكم.

لكن الرواية لم تقدم صورة البطل المنكسر، المستسلم لقدره، بل قدمت صورة مغايرة تستند إلى نقاء المبادئ الوطنية التي يؤمن بها (حميد) التي مكنته من تجاوز انكساره وعودته للعمل السياسي مجدداً: "وهكذا يا حميد فمهما تكن يائساً مهزوماً أو كنت هارباً مطروداً ومهما تكن قذراً ملوثاً بالاعتراف أو تكن نابذاً تحمل عار نبذك فأن جوهرك يبقى نقياً وهذا هو كسبك الذي لن يستطيعوا انتزاعه منك".[4]

وتستمر (رواية المخاض) [5]، بتقديم صورة المطاردة التي يتعرض لها المثقف الماركسي لإبعاده عن التأثير الحقيقي في المجتمع، وهو ما مثلته شخصية (مهدي عبد الصاحب) المثقف الماركسي، الذي يفصل من كليته في العهد الملكي بسبب نشاطه السياسي المناوئ للحكم، لكنه يعود للدراسة بعد ثورة تموز 1958، ليتخرج ويعمل مدرساً.

ويحاول (مهدي) حث زميله القديم (كريم داود) الذي فصل هو الأخر من كليته بسبب انتمائه للحزب الشيوعي، على العودة إلى كليته وإتمام دراسته ليكون قادراً على أداء دوره في توعية المجتمع.

(1) الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، د.سعد عبد الحسين العتابي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001: 70.
(2) شقة في شارع أبي النواس، برهان الخطيب، دار العودة، بيروت، 1972.
(3) شقة في شارع أبي النواس: 134.
(4) م. ن: 161-162.
(5) المخاض، غائب طعمة فرمان، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، 1974.

وتحاول الرواية تقديم صورة المشهد السياسي الغائم في الستينيات، وتصارع القوى السياسية التي كانت متحالفة بالأمس في القضاء على السلطة الملكية، لتتحول بعد ثورة تموز 1958، إلى فرق متناحرة فكرياً وسياسياً لا هم لها سوى الوصول إلى السلطة والتفرد بالحكم.

وتمثل المطاردة التي تعرض لها (مهدي) من قبل أخيه الأكبر، محاولات القوميين للقضاء على الفكر الماركسي، والاستحواذ على الثورة وإقصاء المخالفين، يقول مهدي:

"– إن أخي هذا اكبر مني. هو من الغلاة وذوي النعرات يقول أن عائلة عبد الصمد محافظة ونظيفة، ولا يمكن أن يكون فيها شيوعي، سأقتله وأنظف العائلة منه".[1]

وتقدم الرواية عبر شخصية (مهدي)، رؤية الماركسيين لانحراف الثورة عن أهدافها التي نادت بها، عبر إقصائها للرموز الوطنية وتحولها نحو الحكم الفردي المطلق، يقول مهدي:

"– الحكم الفردي الذي يتحكم فيه رجل واحد. واشهد أننا لم نفعل ذلك عمداً. الظروف جعلته. الشعب المسحور بالكلمات الجديدة التي قالها. بسطاء الناس الذين يقبلونه، ويجدونه قريباً من نفوسهم، البرجوازية الصغيرة التي يمثلها، الجزء الأكبر من المثقفين الذين رأوا في شخصه حرية العبث باسم الثورة، التحرر، تأجج النزعة إلى شيء جديد ثم لا تنسى منطق الحرمان والكبت الذي عاناه الشعب العراقي. سني الجفاف والخنوع وفقدان الثقة بالنفس، سني تقسيم الناس إلى أسياد ومسودين، ثم هناك عامل قوي آخر، هو نفسه بنزعته التحكمية، حب التسلط والانفراد بالسلطة".[2]

ويلخص الكاتب عبر شخصية (مهدي) ما تعرض له العراق بعد ثورة 1958 من تشظي فكري وتناحر سياسي لم يكن الغاية منه خدمة الجماهير، بل كانت الغاية الوصول إلى السلطة والتحكم بمصير الشعب.

لكن صورة المثقف الماركسي، لا تقدم دائماً بالنقاء نفسه الذي قدمته الروايات السابقة، فالتباس المشهد السياسي في العراق، وتعدد الأحزاب السياسية ذات الآيديولوجيات المختلفة، دفع بعض الفئات الممثلة للفكر الماركسي، التي تتصدر قيادة المناضلين ضد السلطة، إلى انتهاج أساليب السلطة نفسها في التعامل مع أفرادها، لتضمن استمرار نفوذها، وتكسب عبر سياسة الترهيب التي تستعملها ولاء هؤلاء الأفراد لقيادتها.

وهو ما قدمته رواية (القلعة الخامسة) [3] من خلال شخصية (سلام عبد الله) المثقف الماركسي الذي يعتقل بسبب انتمائه للحزب الشيوعي، ومعارضته للسلطة، ويتفرد في قيادته للمعتقلين داخل السجن.

ويساهم (سلام عبد الله) في التفتح الفكري للبطل (عزيز محمود سعيد) ويعجب البطل بثقافة (سلام) وصلابته، واحترام المعتقلين له، إذ يقول البطل: "كان الجميع ينصتون إليه برهبة واحترام. لا بد انه مثقف سياسي كبير".[4]

فـ(سلام) الذي كان دائم الحديث مع البطل والمعتقلين الآخرين "عن الثورة الطبقية التي لا هوادة فيها"[5]. وعن الحرية التي ينشدها المناضلون من وراء تضحياتهم، وعن العدالة والمساواة التي يسعون لتحقيقها في المجتمع، يتحول إلى شخصية متسلطة تحاول فرض آرائها بالقوة على المعتقلين، وتستعمل أساليب القمع والترهيب ضد المعتقلين الرافضين لسياستها.

وتقدم الرواية أنموذجاً آخر للمثقف الماركسي وهو شخصية (منعم) الطالب الجامعي الذي اعتقل بسبب اشتراكه في مظاهرة مع الطلبة، والذي يعيش عالمه الخاص بعيداً عن المعتقلين، حالماً بتحقيق حلمه في "عالم آخر لا يقتل فيه الإنسان أو يهان"[6]، فهو ضد الجريمة وإراقة دماء الأبرياء بحجة الثورة وتغيير المجتمع، فهو يحلم "بثورة جميلة"[7] لا أخطاء فيها.

(1) المخاض: 224.
(2) م.ن: 277.
(3) القلعة الخامسة، فاضل العزاوي، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2000.
(4) م.ن: 290.
(5) م. ن: 135.
(6) م. ن: 57.
(7) م. ن: 57

لكن مثل هذا الإنسان الحالم، الذي لا يعيش الواقع بكل تناقضاته، سرعان ما ينهار ويتخلى عن مبادئه، وقد لمس البطل التغير الفكري الذي طرأ على (منعم) بعد إطلاق سراحه، ليبرر (منعم) انتكاسته الفكرية بقوله: "إن جميع الكتب كاذبة ومضللة لم أعد أؤمن بشيء. أن كل ما نطمح إلى تحقيقه ليس سوى حلم. كل شيء ينتهي إلى بوابة مغلقة. لن يكون ثمة مستقبل".[1]

إن شخصية (منعم) تمثل المثقفين الماركسيين الحالمين بواقع اجتماعي جديد يتحقق عبر تطبيق الفلسفات التي يؤمنون بها، دون تلويث ذلك الواقع المنشود بالدماء والتضحيات، لكنهم سرعان ما ينهارون أمام بشاعة الواقع الحقيقي وتناقضاته.

إن إيمان الماركسيين بضرورة توعية الشعب والدفاع عن حقوقه بكل صلابة من جهة، واعتقادهم بقوة تأثير الفكر الماركسي في الطبقات الشعبية، هو ما دفع إلى تقديم شخصية المثقف الماركسي، وامتداداً لشخصية (صاحب) في النخلة والجيران، تقدم (رواية القربان)[2]، شخصية (صباح) أنموذجاً للفكر التقدمي المتفتح، الذي يسعى لإنقاذ الشعب من اضطهاد السلطة وسلبها لحقوقه.

تعالج الرواية مرحلة تاريخية تمتد من العهد الملكي حتى وصول القوميين للحكم عام 1963، وتراقب عبر شخصية (مظلومة) التي ترمز للشعب المضطهد، محاولات الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق في تلك المرحلة، إخضاع الشعب لأرادتها ومطاردة وإقصاء الأصوات الحرة.

وهنا تأتي شخصية (صباح) بما يحمله من فكر ماركسي، ليكون منقذاً للشعب من تسلط الحكومات المستبدة، من خلال توعيته لمظلومة رمز الشعب المقهور، ومساعدتها على الفكاك من قيود (دبش) الشخصية الانتهازية ورمز العهد الملكي، والتمرد على محاولات (ياسر) رمز الحكم القاسمي، لمنعها من لقائه وعزلها عن المجتمع، ثم الإفلات من رقابة (عبد الله) رمز الحكم العارفي لتتحقق حريتها عبر علاقتها بصباح.

وتمثل شخصية (صباح) المثقف الجماهيري المنتمي للطبقات الكادحة في المجتمع إضافة إلى أنه رمز للطبقة العاملة الواعية، التي تحقق للشعب حريته وتدافع عن حقوقه، يقول (صباح) لـ(دبش)، عندما طلب إليه الزواج من مظلومة: "عمي دبش في يدي مهنة أنا ميكانيكي".[3]

وتظهر الرواية شخصية (صباح) بمظهر القوة والتحدي لجبروت السلطة، فهو يواجه (ياسر) رمز السلطة بكل جرأة، عندما منعه من لقاء مظلومة، إذ يقول: "نظراته الحادة لم تخفني ولو كان أطول من قامتي".[4]

ومثلما ساهم (صاحب) في رواية النخلة والجيران في توعية (حسين)، فإن صباح يُصر على تعليم مظلومة القراءة والكتابة وتوعيتها بحقوقها المسلوبة:

قالت مظلومة: "زنوبة. أتدرين ماذا يريد صباح أن يعلمني؟

هزت رأسها

- القراءة والكتابة.
- ياه.
- يقول ماكو فرق بين الرجل والمرأة. ابنة أخت سلمان راح تتخرج محامية وتقف أمام المحاكم.

.....

- لازم الإنسان يكون شجاعاً.

.....

(1) م.ن: 157.
(2) القربان، غائب طعمة فرمان، مطبعة الأديب البغدادية، 1975.
(3) م.ن: 45.
(4) م. ن: 82.

- ولا يخاف من احد إذا كان على حق".[1]

ورغم المطاردات المستمرة لصباح من قبل ياسر ومن بعده عبد الله، إلا أنه استطاع التواصل مع مظلومة، ليبقى الشخص المقرب منها، في دلالة على احتضان الشعب للأفكار التقدمية ودورها في توعيته وإنقاذه من واقعه البائس.

ورغم تأكيد الخطاب الروائي، ضرورة انتماء الرمز الماركسي للطبقة الشعبية في المجتمع، إلا انه من جانب آخر يشترط أن يمتلك هذا الرمز ثقافة فكرية وسياسية، تجعله قادراً على مواجهة متناقضات الواقع السياسية ومحاربة الفئات الانتهازية، والطبقات المستغلة في المجتمع، ومساعدة الشعب على استعادة حريته المسلوبة.

وتقدم رواية (ضجة في الزقاق) شخصية المحامي (سعد الله)، رمزاً للمثقف الماركسي، الذي لا يكتفي بالثقافة النظرية من خلال قراءاته المختلفة وامتلاكه لمكتبة ضخمة، بل يوظف ثقافته لنشر أفكاره التقدمية في المجتمع، ويشارك في الإضرابات والمظاهرات ضد السلطة الملكية.

وتقابل الرواية بين شخصية (سعد الله) الرمز الماركسي، وشخصية (خليل) الرمز البرجوازي، لتقدم الأولى بصورة المجازفة في مواجهة السلطة والعمل على تقويض أركانها، والثانية بصورة التردد والتذبذب في المواقف تبعاً للمصلحة الشخصية، ولتدين عبر بطلها الماركسي تخاذل الطبقة البرجوازية وسعيها للحفاظ على موقعها الاجتماعي: "رائع... رائع أنت يا خليل لولا تحفظاتك البرجوازية... رائع لولا قوقعيتك وعدم تفهمك لطبيعة المرحلة التي تمر بها وحاجتنا إلى كل الوسائل التي توصلنا إلى مرحلة الثورة".[2]

ويتبين مما تقدم من نماذج ان الراوية المتأثرة بالفكر الماركسي في العراق سعت الى تأكيد ضرورة ان ياخذ الفكر الماركسي دوره في بناء المجتمع من خلال تقديمها لشخصية المثقف الماركسي الذي يمثل صوت الطبقة العاملة ويحمل هموم الواقع ويحاول التمرد والثورة على الاستبداد والظلم بكل اشكاله.

مصادر البحث

- الأيام المضيئة، شاكر جابر، مطبعة الجمهورية، بغداد، د.ت.
- شقة في شارع أبي النواس، برهان الخطيب، دار العودة، بيروت، 1972.
- ضجة في الزقاق، غانم الدباغ، مطبعة الأديب البغدادية، 1972.
- القربان، غائب طعمة فرمان، مطبعة الأديب البغدادية، 1975.
- القلعة الخامسة، فاضل العزاوي، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2000.
- المخاض، غائب طعمة فرمان، منشورات مكتبة التحرير، بغداد، 1974.
- الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، د.سعد عبد الحسين العتابي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 2001.

النخلة والجيران، غائب طعمة فرمان، دار المدى للثقافة والنشر، ط2، 2009.

(1) القربان، غائب طعمة فرمان: 142.
(2) ضجة في الزقاق، غانم الدباغ، مطبعة الأديب البغدادية، 1972.